« غولساري » يحتضر وتاناباي يناجيه ويتذكر · وكان المونولوج هو البناء الدرامي للرواية ·· واخيرا يدفن تاناباي حصانه الحبيب والدموع في عينيه قائلا : « وداعا يا غولساري » ، وكأنه يودع بذلك حياته ذاتها ·

ومنحت هذه الرواية فورا جائزة الدولة ولقب ايتماتوف بأديب الشعب السوفييتي

□

اخيرا سنقف قليلا عند قصته الجديدة « السفينة البيضاء » التي اعترف الجميع انها تعبير واضح عن ديناميكية التصورات الشعبية حول الخير والجمال ، وحول الاسس الاخلاقية للشخصية الانسانية ·

دارت حولها مناقشات حية ، اعترض الكثيرون على نهايتها اليائسة التي يعبر عنها موت الطفل بطل القصة · وانتظر ايتماتوف ثم رد على ذلك بمقال شهير بعنوان « تدقيق لا بد منه » ·

علق على الكلام المكرر بأن « الفن يجب ان يدعو الناس للفرح والتفاؤل » بقوله : « ولكن من الصحيح ايضا ان الفن يجب ان يوصل الانسان الى تأملات عميقة ، وهزات شديدة ، وان يثير لديه احاسيس عنيفة من الالم والاحتجاج ضد الشر ، يجب ان يعطيه المحبة للحسرة والحزن والتعطش لتثبيت وحماية الافضل في الحياة الذي يداس وينتهك » · يدعم ايتماتوف فكرة عدم التطابق دائما بين « اليأس » في الفن و« اليأس » في الحياة بأمثلة واضحة من الادب الكلاسيكي :

« ما هو موت جولييت من وجهة نظر الحياة ؟ انه اليأس ، انه انتحار النفس الضعيفة · وما هو موت جولييت في الفن ؟ يبدو لك انه الشيء نفسه · ولكن هذا « اليأس » يمتلك بفضل ريشة شكسبير قوة هائلة للفعل المعاكس ـ انه القوة ، انه عدم الخضوع ، انه عدم المساومة ، وهو في نفس الوقت حب وكره ، تحد واخلاص ، وهو في نهاية المطاف تأكيد للشخصية كان ثمنه الحياة » ·

ويختتم ايتماتوف « اجل ، يقتل الطفل ، لكن التفوق الروحي والاخلاقي يظل الى جانبه ، و « انتصار الشر » هنا خيالي وعابر ، فالنصر ليس للشرير اوروزكول · النهاية غير الشكلانية من « المنتصر » ومن « المهزوم » ، تحمل في القص اهمية حاسمة بالنسبة للفن · اما النصر الحقيقي فيكمن في النتيجة الفكرية الختامية « المهم ان يكون القارىء قادرا على القتال من اجل تلك الحقيقة التي لم يستطع الابطال الادبيون ـ لاسباب مختلفة ـ تأكيدها فعليا ···» ·

صدرت لجنكيز ايتماتوف روايات اخرى لم اقرأها بعد وهي « الكلب المبقع يركض نحو البحر » ، و « مانماس » وغيرها · ان طريقه الابداعي لا يزال في اوله ، وهو قادر على العطاء · ولا شك انه اغنى الواقعية الاشتراكية وعمقها وفتح لها طرقا وآفاقا ابعد · انه ينظر الى الواقعية بمنظار شمولي « الواقعية الاشتراكية قبل كل شيء هو ادراك عميق لظواهر الواقع الطبيعي ولجوهر الصراعات والصدامات في الحياة المحددة ، وهي ايضا الاقتراب الاقصى من انسان محدد · وهذا الاقتراب مبني على اساس الفهم الانساني الحقيقي لشخصية الانسان وقيمته الذاتية ، ومهمته التاريخية الرفيعة ·